المحاضرة رقم 3

الأدب والمسرح والسينما

يمكن أن تربط استعانة السينما بالأدب بالحركات الطليعية في فرنسا وايطاليا خاصة، حيث عملت هذه الأخير على استثمار قصص الأساطير والأدب في أفلامها/ من ذلك فيلم "أوديب ملكا" عام 1967 لبازوليني، وفيلم العراب (1972)لفرانسيس فورد كابولا الذي اقتبس عن رواية للايطالي "ماريو بوزو" ومنه ثلاثة أجزاء.

ولابد من الإشارة إلى أن بدايات السينما ارتبطت بالاقتباس من نصوص تاريخية وأسطورية من ذلك فيلمي الجميلة والوحش(1945) و"أوريفيوس"(1950) لجان كوكتو، دون أن ننسى قصص لافونتان وخرافات الإخوة غريم، فقد ضلت أجناس الأدب من مسرحيات وقصص وروايات الملاذ لصناع الفيلم في العالم، فمن المسرح كانت مسرحية هاملت لشكبير من أوائل المسرحيات المؤفلمة، والتي كتبت عام 1602، ونقلت إلى السينما عام 1948 بلمسة المخرج لوانس أوليفييه، ثم أعيد اقتباسها على يد الايطالي فرانكو زيفيريللي عام 1990، وكذلك عام 1996 مع المخرج كنيت برانا غ، وعام 2000 مع المخرج مايكل ألميرادا، وعام 2015 ومع سارة فرانكوم ومرغيريت ويليام.

أما "**روميو وجوليات**" التي كتبت عام 1593، فقد حولت إلى فيلم عام 1996 من طرف المخرج باز لورمان، دون أن ننسى مسرحية "مكبت" وريتشاد الثاني ويوليوس قيصر لشكبير، وكل هذه الأعمال تثبت أن النص المسرحي الأصيل يملك انفتاحا على الفنون رغم تقادم زمنه عن زمن السينما والسمعي البصري، فرغم الاختلاف الأجناسي بين الاثنين، إلا أن النص الذي كتب ليكون محصورا داخل حدود الركح ويعتمد أساسا على الحركة الكاملة للمسرحية والعرض المتواصل، أصبح منبعا للفن السابع مع تغير الأساليب والتقنيات وبقاء الروح، والأحداث الرئيسية والشخصيات الفاعلة ومسار الحبكة عادة، أو

الاعتماد على الفكرة مع حرية التصرف بالقطع والحذف والاختزال والإضافة مع توفر اللمسة الإبداعية المعاصرة.

وقد كانت الرواية أكثر حظا من المسرحية في رحاب الشاشة الكبيرة، ذلك أن كليهما يتكئ على الحياة في تشكيل عوالم موازية، وأشهر مثال على ذلك رواية "**مدام بوفاري**" لصاحبها غوستاف فلوبير التي ظهرت عام 1857، وحولت إلى السينما أربع مرات أولها كانت مع الفرنسي جون رينوار عام 1934، وأخرها مع المخرجة سوفي بارث عام 2014. وكذلك البؤساء لفيكتور هوغو هام 1862؛ التي ظهرت كفيلم ثلاثين مرة، أولها كانت مع المخرج جيمس ستيوارت بلاكتون عام 1909 وآخرها مع المخرج توماس هوبر عام 2012.

ورواية "**أنّا كرنينا**" للروسي ليو تولستوي (1877) التي كانت مصدر إلهام لعديد المخرجين أخرهم كان جو رايت عام 2012، والجريمة والعقاب التي نقلت للسينما عام 1956 على يد جورج لامبين، وكذلك رواية "ذهب مع الريح لمارغريت ميتشل الفائزة بعديد الجوائز وظهرت أول مرة في السينما عام 1939. دون نسيان فرانز كافكا المحاكمة التي ظهرت كرواية عام 1926، وكفيلم عام 1962.

أما من المعاصرين فنذكر رواية باولو كولو "فيرونيكا تقرر أن تموت" التي ظهرت عام 1998، وأفلمت مرتين عام 2006 على يد كي موري، وعام 2009 مع المخرجة إيميلي يونغ، ونذكر دان بروان وروايته الشهيرة "شيفرة الدافنشي" 2003 التي نقلت فيلما عام 2006 على يدٍ ون هوود.

ولا يمكن تناسي أفلام تاركوفسكي وأفلام بارجانوف وكيشلوفسكي، والمسماة بالأفلام الشعرية في مزجها بين الصورة والنص الشعري كنوع من أنواع التجريب الطليعي.

ولا يتسع المقام لذكر كل التجارب السينمائية المستوحاة من الأدب، لكن المؤكد أن علاقة الأدب السينما مواكبة لميلاد هذا الفن فحتى في فترة السينما الصامتة(1895-1930) كان الأدب ملهما للكاميرا، من ذلك أفلام سندريلا 1899واللحية الزرقاء 1901.

وبالمجيء إلى السينما العربية فلابد أن نشيد بالتجربة المصرية ولها دور الريادة فهي صاحبة أول عرض سينمائي عربي عام 1896 بالإسكندرية، وتلته عروض أخرى في القاهرة، وارتبطت السينما فيما بعد بالشرطة الايطالية المصرية السينما عام1917. وقدمت السينما المصرية أول فيلم تسجيلي لها عام 1923 من توقيع محمد بيومي حين سجل استقبال الجماهير للزعيم سعد زغلول بعد الإفراج عنه.

وكان أن أنتج أول فيلم صامت عام 1927بعنوان "قبلة في الصحراء" من إخراج إبراهيم وبدر لاما، وهو مستوحى من فيلم أمريكي من ردولف فالنتينو بعنوان"ابن الشيخ".

أما الاقتباس من النصوص الأدبية فكان عام 1930، عندما اقتبس محمد كريم رواية زينب لمحمد حسين هيكل، وهو أول فيلم روائي مصري طويل مع العلم أنه صور ناطقا عام 1952، وكان نجاح الفيلم دافعا للكاتب لإعادة نشر الرواية وباسمه الفعلي. واستمر الاقتباس السينمائي من الأدب ليظهر أول فيلم روائي تاريخي ناطق عام 1935 بعنوان"شجرة الدر" وهو عن قصة جورجي زيدان، والكاتب ذاته أنجز السيناريو.

وقد استفادت السينما من رجال المسرح، حيث نقلوا خبرتهم وأدائهم المسرحين إلى الفيلم كما حصل مع يوسف وهبي ونجيب الريحاني وعلي الكسار، كما أثر هذا الأمر على الجمهور الذي تحول إلى مشاهدة الأفلام خاصة بعد التعاون مع أشهر المطربين أمثال محمد عبد الوهاب (فيلم رصاصة في القلب ودموع القلب)، وأم كلثوم في فيلم وداد الذي كان أول فيلم عربي يشارك في المهرجانات السينمائية الدولية، ومهرجان البندقية عام 1936،

ليلي مراد بفيلم غزل البنات، أسمهان فيلم غرام وانتقام وانتصار الشباب، فريد الاطرش فيلم لحن الخلود وعبد الحليم حافظ الوسادة الخالية ولحن الوفاء وغيره.

وزيادة على ريادة السينما المصرية كان لها الباع في تحويل قصص الأدباء ونصوصهم إلى أفلام، من ذلك أدب طه حسين" ظهور الإسلام ودعاء الكروان، وتوفيق الحكيم الرباط المقدس، ورد قلبي ليوسف السباعي، قصص إحسان عبد القدوس ومنها الوسادة الخالية ولا أنام، دون نسيان نجيب محفوظ بداية ونهاية القاهرة الجديدة وزقاق المدق اللص والكلاب وغيرها.

كما عملت السينما المصرية كذلك على الاقتباس من الأدب العالمي ومن ذلك فيلم البؤساء المقتبس عن رواية لفيكتور هوغو و فيلم الجريمة والعقاب لمخرجه إبراهيم عمارة عام 1957المقتبس عن رواية لدوستوفسكي، وعن الرواية ذاتها اقتبس فيلم سونيا والمجنون من إخراج حسام الدين مصطفى1977، هذا الأخير الذي اشتهر بأفلمة روايات دوستوفسكي بعد تمصيرها، كما هو الحال بفيلم الشياطين من بطولة حسين فهمي ونور الشريف، وكذلك فيلم الإخوة الأعداء المقتبس عن رواية الإخوة كرامازوف من بطولة نادية لطفي ويحيا شاهين، وفيلم ضربة القدر من بطولة ليلى مراد عن رواية إميل زولا بالعنوان ذاته إخراج يوسف وهبي، وفيلم الوحش داخل الإنسان عن رواية إميل زولا، كما في فيلم المجهول المأخوذ عن مسرحية سوء فهم لألبير كامو، والأمثلة كثيرة في هذا المقام لا يتسع لذكرها جميعا.

لكن لابد من الإشارة إلى أن الاقتباس من الروايات والقصص والمسرحيات ظاهرة عرفتها السينما العربية بكثرة في المشرق من ذلك السينما السورية والأردنية، وقد نالت روايات غسان كنفاني وحيدر حيدر وحنا مينا وإلياس خوري ومحمد الماغوط اهتماما خاص من طرف المخرجين.